تاريخ الاستلام: 2015/09/21- تاريخ التحكيم: -2016/01/17- تاريخ النشر2016/06/28

القيم الإنسانية والمبادئ السلميّة في الثورة التحريرية بين الكتابة التاريخيّة والخطاب الشّعريّ

أ.الطاهر الغول

جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Abstract

The Algerian Liberation Revolution is not only a source of glory and pride of human and material sacrifices, that historians studied and wrote about, but also it is a source for praising its human values and peaceful principles that were preserved by the revolution Poetry; and poets tried to save and transfer them.

That's what we would like to highlight by focusing on the important of these values and principles considering that all international constitutions and human rights organizations agreed on the necessity of providing, guaranteeing and defending them through the human rights organizations. Below are the main ones: - Freedom as the highest human value - Equality and social justice, fighting racism - Spreading the message of love and peace - Preserving and promoting women's rights and protecting children.

ملخّص

إن الثورة التحريريّة الجزائريّة ليست – فقط – مصدرا للإشادة بالبطولات والتضحيات البشرية والمادية التي اجتهد المؤرخون في تدوينها ودراستها؛ بل إنها كذلك موردٌ للتغَنِّي بقِيَمِها الإنسانية ومبادئها السلميّة التي احتوتها المراجع التاريخية وحفظها شعر الثورة من أجل نقلها وتخليدها، وهذا ما نسعى إلى إبرازه في إطار التركيز على مجموعة من أهمّ تلك القيم والمبادئ باعتِبَارِ أنها أرقى ما اتفقت المواثيق الدوليّة وأجمعت المنظّمات الحقوقية العالميّة على ضرورة توفيره وضمانه والدفاع عنه عبر مختلف هيئات حقوق الإنسان، ويتمثل ذلك فيما يلي: الحرية كأعلى قيمةٍ إنسانيّة – المساواة والعدالة الاجتماعيّة، ومحاربة التمييز العُنصري – نشر رسالة المحبّة والسلام – رعاية وترقية حقوق المرأة وحماية شؤون الطفولة.

تمهيد :

"الشعر مرآة العصر"، أو "الأدب مرآة العصر": عبارة كثيرًا ما ردّدها على مسامعنا أساتذة اللغة العربية وآدابها- ونحن على مقاعد الدراسة- وكُنّا نتساءل حينها: فماذا يكون التاريخ إذن؟ ذلك أن التاريخ يشترك مع الأدب في تسجيل الأحداث وتخليد الوقائع، لكن شتَّانَ بين وظيفة كل منهما تجاه نقل الحقائق! حيثُ أن التاريخ ينقلها مجرّدة من الأحاسيس، خالية من المشاعر والعواطف، من باب الإحاطة العلميّة في غالب الأحيان، أو لأجْل العظة والاعتبار في بعض الأحيان الأخرى؛ بينما الأدب- عموما- والشعر- خصوصًا- ينقُلها نابضة بالحياة فيّاضة بالمشاعر تكشف عن مستوى التفكير والتعبير، فضلا عن تصوير الانفعالات النفسيّة وتفاعلات الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية لدى المجتمعات والأمم في عصر من العصور، لذلك دأب مدرّسو الفلسفة وعلم الاجتماع على ترديد مقولة: أن اللغة هي عبارة عن فكر مسموع وما الفكر إلا عبارة عن لغة صامتة(1.(

ولا شك أن الثورة التحريرية الجزائرية هي محطة من كُبرى محطات التاريخ، تنافَس المؤرخون في تناول أحداثها وشخصياتها ومساراتها من حين انطلاقها إلى نهايتها، كما أنها ألهمت الشعراء أثناءها وبعدها بل وحتى قبلها(2) ليُعبّروا عن مآثرها وبطولاتها، لهذا يمكن القول بأن شعر الثورة التحريريّة هو ذلك الشعر الذي تناول موضوعاتها، سواء بالدعوة إليها والتحريض عليها، أو بتسجيل أحداثها وتدوين وقائعها، أو بتمجيد إنجازاتها والافتخار ببطولاتها .. وليس من المغالاة أو من المبالغة أن نقول: لا نحسب أن هناك شاعرا أو أديبا جزائريا إلا وله كتابة أو تأليف في موضوع الثورة – إن لم يكن في الغالب هو بداية كتاباته – ناهيك عن غير الجزائريين(3.(

فإذا كانت الكتابات التاريخية تركّز على هذه الثورة في أبعادها البطولية وتطور إنجازاتها العسكرية وعبقريتها الحربية ومختلف أشكال التضحية المادية والمعنوية مع افتراض تحرّي الموضوعيّة والتجرّد من الذاتيّة بقدر الإمكان؛ فإن النصوص الشعرية لا تستطيع أن تقف عند ذلك فحسْب، بل تمتد إلى إبراز العواطف النبيلة والقيم والمبادئ السلمية أيضا، ذلك أن الشعر تأمُّل نفسي تمر فيه التجربة من خلال النفس، حيث يُعبّر الشاعر في تجربته عمّا في نفسِه من صراع داخلي سواء كانت الحالة الشعورية تخصه هو نفسه أو هي عبارة عن موقف إنساني عامّ يتبناه أو يتمناه(4) ، وإذا كان النقّاد ولا زالوا يتساءلون: هل تكمن جمالية الفن والأدب في الفكرة التي يعالجها، أم في الوسيلة التي يستخدمها الفنان أو الأديب لنقل فكرته، أم أنها في الفكرة والوسيلة معًا؟(5) ، فإننا نختار الإجابة الأخيرة، لأن الثورة التحريرية من ناحية الوثيقة التاريخية (كموضوع أو فكرة أو مضمون) عبارة عن مخزون معرفي للأحداث والوقائع، بينما هي من ناحية الخطاب الشعريّ (كوسيلة أو شكل للتعبير عنها) عبارة عن مخزون معرفي لمستوًى من الأفكار والأحاسيس والمشاعر التي كان يعيشها المجتمع الجزائري خلال تلك الأحداث وكيف تفاعل معها بإيجابية أو سلبيَّة وما يتولّد عن ذلك من أفكار وعواطف أخرى يكون لها أثرها في توجيه السلوكات الفردية والجماعية..

ومن هُنا فإن الثورة التحريريّة ليست مصدرا للإشادة بالبطولات والتضحيات البشرية والمادية فقط؛ بل إنها كذلك موردٌ للتغني بقيمِها الإنسانية ومبادئها السلميّة، وهذا ما نسعى إلى إبرازه في إطار التركيز على مجموعة من أهمّ تلك القيم والمبادئ باعتِبَارِ أنها أرقى ما اتفقت المواثيق الدوليّة وأجمعت المنظّمات الحقوقية العالميّة على ضرورة توفيره وضمانه والدفاع عنه عبر مختلف هيئات حقوق الإنسان(6) ، ويتمثل ذلك فيما يلي:

/1الحرية كأعلى قيمة إنسانيّة؛

/2المساواة والعدالة الاجتماعيّة، ومحاربة التمييز العُنصري؛

/3رسالة المحبّة والسلام؛

/4رعاية وترقية حقوق المرأة وحماية شؤون الطفولة.

خاصة وأنّ الاحتلال كان يمثل فرنسا الثورة، التي لم تكن حدثا هاما في التاريخ الفرنسي فقط، وإنما هي أحد أبرز أحداث القارة الأوربيّة والعالم المُتمدِّن القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث مثّلت نقطة تحوُّل أساسية في تطوّر النظم السياسية والاجتماعية في أوربا، فوضعت حدًّا للنظام الملكي القائم على الاستبداد المستند على الحق الإلهي في الحكم وفتحت الباب أمام نظُم جديدة- جمهورية أو ملكية دستورية تقوم على أسس

حرية الأفراد والشعوب وتستمد سُلطانها من إرادة المواطنين وتعمل تحت رقابتهم وتخضع لمحاسبتهم(7)، لكن: ماذا عن واقع المستعمرات التي احتلّتها فرنسا بحُجّة تزويدها وإفادتها بمبادئ ثورتها؟ !

أوّلاً: الحريّـــــــة:

كل جزائريّ بأصالته يحفظ مقولة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: (متى استعبدتُم النّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟) وتكاد المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تكون ترجمة حرفيّة لهذه المقولة، ورغم أن معنى الحرّية من المفاهيم الفلسفيّة التي لم يتّفق المفكّرون حول تحديد تعريفها، إلا أنه وفي واقع استعماريّ مثل الحالة الجزائرية؛ فإن الحريّة تعني التخلص من قيد المستعمر والاستقلال عنه، فجاء في بيان أول نوفمبر 1954: "فنحن نعتبر قبل كل شيء أن الحركة الوطنية بعد مراحل من الكفاح قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية، فإذا كان هدف أي حركة ثورية في الواقع هو خلق جميع الظروف الثورية لعملية تحريرية، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متَّحد حول قضية الاستقلال.."(8) وإذا كانت الوثيقة التاريخية تسجل هذا المعنى فيما ينقله المؤرّخون: "..إن الشعوب العربية في منطقة إفريقيا الشمالية مشتركة في المحن والآلام..وشريكة في المصالح الدينية والدنيوية.. وشريكة فوق ذلك كله في ميدان الجهاد الوطني في سبيل الحريّة والتحرير"(9) ، فإنّ النص الشعري ينقل لنا حالات نفسية حول عاطفة الارتباط بالوطن وهوان التضحية بالروح لأجله حين صاح شاعر الثورة قائلاً :

فداء الجزائر روحي ومالي أَلَا في سبيـــل الحريـــة(10.(

وصـاح أيضاً مردِّدا :

وطني بروحي أفتديك ومهجتي ودمِـي الشريف مبرَّةً ووفـــاءَ

عهد عليّ مدى الحياة مقـدّس يُذكي عرُوقِـــي نخوةً وإبَـاءَ

حسبي فخارًا في حياتي أنّني أغدو على وطني العزيز فداءَ(11.(

بل إنه يجعل من فكرة التحرير منطلَقا محوريًّا لتأليفه الشعريّ إنشاده الثوري حين يقول:

على نبضات الشعب وقّعتُ ألْحاني ومن نشوة التحرير لحّنتُ أوزاني(12(

وهكذا كانت غاية الثورة هي الحرية وكانت الثورة – نفسها – هي السبيل إلى تلك الغاية، فيختصر الشهيد الربيع بوشامة ذلك مُحرّضا على الحرب لنيل ذلك الهدف النبيل بقوله :

وارفع لواء الحرب في كل الذرى

وتُنِيله ما كان يرجو من مُنـــىً حتى تُحَـرّرَه من الأغـــــلالِ

كُـبرى مكلّلة بالاستقـــــــلالِ(13(

ومن ناحية الكتابة التاريخية ينقل المؤرخ آندري نوشي مطالب نجم شمال إفريقيا (حزب الشعب – حركة الانتصار للحريات الديمقراطية) التي تقَدَّمَ بها مصالي الحاج(14) منذ مؤتمر بروكسل 1927م خلال نشاط الحركة الوطنية، وهو ما تبنّته الثورة وسعت إلى تحقيقه فيما بعد، ومن أهم تلك المطالب الثورية: الاستقلال الكامل للجزائر، وجلاء الجيش الفرنسي(15)، لذا فإنّ شاعر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: محمد العيد آل خليفة يصوّر لنا اشتياقه إلى تلك القيمة النبيلة من واقع أسْرِه ومن موقع إقامته الجبريّة – إبّان الثورة – توّاقاً إلى الحرّية، فلم يجد سوى جمال الطبيعة ملاذًا له من فظاعة الاحتلال، فراح يُناجي طائر "أبي بشير" الذي عادة ما يستبشر الجزائريون برؤيته وسماع زقزقته، فيقول:

جـزمتُ بإطـلاق الأسيـــرِ

وجئتُ أبُثُّـه نجْـــوَاي سِـــرًّا غداة سمعت صوت"أبي بشيرِ"

ومن للحرِّ بالصوت الجهيـــرِ

بل ومن عجائب شعر الثورة – وفي ظل الأسر ولياليه الحالكات – أن نجد هذا الشاعر يحلُمُ؛ ليس بالاستقلال فقط، بل بما بعده من الحكم الشوريّ الحرّ حين يرُدُّ عليه الطائر مُبَشّراً بقُربِ تحقيق الأمل :

سَيحمدُ شعبُك العُقْبى قريباً

وَيَحكم حُكمَه الشوريَّ حُـرًّا ويُحرزُ نصْـرَهُ بِيـَدِ القدـرِ

وخَيْرُ الحُكْمِ:حُكم المستشيرِ

ثم يخطُّ بيَمينه وإيمانه قانونا تاريخيا عامّا صالحا للبشرية كلها، على اختلاف أجناسها وعلى مرّ العصور قائلا:

فَلَيْسَ لأُمّـةٍ بالحقِّ ثَـارَتْ مصيرٌ غيرَ تقرير المَصِيرِ(16 .(

ويتناول أبو القاسم سعد الله بشخصية الشاعر التأكيد على الإصرار الفكريّ قبل الإصرار الميدانيّ على مبدأ الحرية فيكتب من إلهامات الثورة التحريريّة في "ديوان الزمن الأخضر" حكمة بليغة تخاطب كل إنسان وتحرّك كل ضمير :

وإنّما أنت حُـرٌّ..

متى اكتشفت مصيركْ

وأنت في النـاس غِـرُّ

لو بِعتَ فيهم ضميركْ(17.(

ولم تنقطع أشواق الحرية أبدا وبقي الشعر يخلّد السعي إليها باعتبارها حقًّا يجب الإيمان به والبحث عنه واليقين بضرورة وجوده، ليس في كل نفس وكل فرد جزائري فحسب، بل في ذات كل كائن حيٍّ من جماد أو نبات وفي كل بر أو فضاء على أرض الجزائر، وهذا ما سجّله الشاعر محمد بوزيدي:

سوف نلقَـــاها

سَوْفَ نلقَـــاها

في صحَـــــارينا

في ابتسام الطفل

في مُحَيَّا الشيـــخ على شُم الجبَـالِ

على تلك الرمـالِ

وفي كــل التلالِ

غِـرًّا لـمْ يُبَـــالِ

ســـاعٍ للقتــالِ(18(

وأما أبو القاسم خمّار فإنه يخلّد مآثر الثورة والثوار الجزائريين، حين يجعل من الحرية طبعا إنسانياً خالدا في الآباء مما ينبغي الاحتفاء والاقتداء به لدى الأبناء على مرّ الأزمان، فيقول:

لنا من مآثـــرنا في النضـــالِ

ومن طبعِنا الحرّ خير الخصالِ ومن حُبّنا للعُـلا والكمـــالِ

فأعظِـمْ بفـــوزك يا مطلبِـي(19(

ومن جهة أخرى وثّقَ المؤرّخون لأحداث الثامن ماي 1945م، باعتبارها نقطة تحوّل في مسار الحركة الوطنيّة حين رفعت درجات النقمة، ووحّدت مختلف الاتجاهات نحو طريق الثورة خاصة بالنسبة لحزب الشعب الجزائري، حيث أفرزت تلك الأحداث جيلا جديدا من الإطارات الوطنية ممّن يتبنّون سبيل الكفاح المسلح وضرورة العزم على التحرّك في هذا الطريق(20(

ولقد حرّكت المأساة قرائح الشعراء فجاهروا بنقمتهم وبدعوتهم إلى الكفاح من أجل الحرية، فتحول الشعر من موقف الرفض والدفاع إلى الدعوة للهجوم والحرب، فقال محمد العيد :

لـم ننْسَ (مايو) ولا مأســاته

وتحوّلت لغة التخاطب بيننا

قمنا إلى رشّاشنا برصاصِنا حتى جَبَهْنا الغاصِبَ المُتجبِّرا

لغـة بها جوّ السـلام تعكّـرا

نسقيه وابلَه الوبيل المخــطرا(21 (

ويذهب مفدي زكرياء عبر الصورة الشعرية(22) إلى أنْسَنَةِ الزمان وتشخيصه لتوظيفه في حماية حرية البلاد والثأر لشعبها من الأعداء عبر التصوير الاستعاري في قصيدة (قالوا نريد:(

قال الزمان: ألستم؟ قالوا بلى..

فانزلْ كريماً ، في بلادٍ حُـرّة نحن الضيوف، وأنت ربُّ الدارِ

أخــذَ الزمانُ لشعبها بالثَّــارِ(23(

وهكذا فإنّ مبدأ الحرّية أخذ معنى الاستقلال عن المستعمر وجُنّدت كل القوى المادية والأدبيّة في سبيل الظفر بهذه القيمة الإنسانيّة حيث غدا التغنّي بالحرية موضوعا للإبداع الشعري، مما جعل الثورة حقاً وواجباً يتعيّن على الشعب الجزائري خوضه في سبيل تحقيق استقلاله، فلا حريّة إلا بانقشاع غيوم الاستعمار، مما وفّر قدراً كافياً من الإجماع الذي لم يترك مجالا للاختلاف حول مفهوم الحريّة، قال الشاعر عبد الكريم العقُّون:

سيَنقشـــع الغيــمُ المخيّم عن شعبي

ويحظــى بآمـــال عِـــذَابٍ جميــلةٍ

ويخلــعُ أغــلالاً ثِقــالاً يجـــرُّها فيغـدُو ضحُـوكاً مُشرِقَ الأُفــقِ كالغرْبِ

وكمْ من جنًى عذبٍ لدَى الأمَـلِ العذْبِ

ويَجــلُو ظــلام الظلـم بالـزَّأْرِ والوَثْبِ(24(

ثانيا: المساواة والعدالة الاجتماعيّة، ومحاربة التمييز العُنصري:

اهتم المؤرخون بنقل الواقع المعيش للجزائريين ومعاناتهم في ظل الاحتلال حيث غياب المساواة وافتقاد العدالة الاجتماعية، وانتشار كل أشكال التمييز العنصري المبنية ، ليس على مجرّد المعاملات الظرفية أو التصرّفات الفردية؛ بل بناءً على التشريعات الفرنسية في الجزائر، حيث كانت السياسة المتبَعة في الجزائر كلها مستوحاة من صميم الخلفيّات الرجعية، وكل القوانين التي يصادق عليها البرلمان الفرنسي، لا تهدف سوى إلى تقوية نفوذ الأقلية الأوربية المغتصبة، وإبعاد الجزائريين من التصرّف في أيّ شأن من شؤون بلادهم(25)، فهم كما وصفهم الشاعر:

مَلَكَ البُغضُ العُنصريُّ حِجَاهُم

فاستبـاحوا في أرضنـا كل شيء وازدهى الكِبْرُ والغُرورُ قُواهُــم

وأذاقُـوا حـتّى الرضيـع أذاهـم(26(

ويحكي مصالي الحاج عن متجر خاله الذي اشتغل فيه لما بلغ سن السادسة عشر، أنه كان مقسّما إلى جزأين: جزء أكبر خاص بالمستوطنين، الذين كانوا يجدون كل السلع المتوافرة في أوربا ماعدا الخمر ولحم الخنزير، وكان أحدهم يقدر على شراء كيلوغرام من السكر وربع كيلو من القهوة وعلبتين من الزبدة و.. دفعة واحدة، أما الجزء الأصغر فمخصص للأهالي، أَيْنَ توضع المواد التي أساسها الدقيق، مما يسمح بتحضير الكسكس والاسفنج والشوربة.. حيث يأتي أولادهم ليطلبوا "مقدار فلس من سكر وقهوة خليط، وكان كل هذا يمزّق الأحشاء"(27). في ظل تلك الظروف جاءت حركة الأمير خالد(28) التي يطلق عليها – عادة – اسم المساواة أو الإصلاح، ليكون من أهدافها تحقيق المساواة السياسية والاجتماعية للجزائريين مع المستوطنين، وورث فرحات عباس(29) هذه الفكرة وظل يناضل من أجلها خلال مشوار حياته السياسية دون أن تتحقق المساواة المنشودة .

وقد كان عباس يبرّر ذلك بأن المساواة وتقدّم الجماهير في الميدان الاجتماعي، من شأنه أن يفتح للجماهير الطريق المؤدية إلى استقلال الجزائر، فضلا عن تحاشيه الالتقاء مع الكولون الذين كانوا يطالبون حينذاك بقيام دولة جزائرية (استقلال داخلي) لتكون الجزائر لهم وحدهم دون الجزائريين(30.(

هذا على الرغم من تشدّق فرنسا والغرب بمبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يقول: "لكل إنسان حق التمتّع بجميع الحقوق والحرّيّات.. دوت تمييز من أيّ نوع، ولا سِيَما التمييز بسبب العنصر أو اللون أو اللغة أو الدين.."(31.(

ولقد جاء شعر الثورة من صميم رسالتها محاربًا لذلك الواقع البئيس الذي أهدر قيم العدالة وأرسى قواعد التمييز بين الأهالي والمستوطنين، فانبرى الشعراء لفضح المستعمر وانتقاد سياساته العنصرية والسخرية من مزاعمه، إلى درجة تجريده من آدميّته انطلاقا من ممارساته وتشريعاته لا اعتمادا على أقواله وادّعاءاته المثيرة للعجب والاستغراب:

عجبـــاً للمستعمـر الغـــدَّارِ
ويرى الآدمـــيّ وهْـــو أخُـــوهُ
يدّعي حفظ الأمن في الأوطانِ
قـد عَثَا في دنْيَـــاهُ كُلّ فسـاد كيف يسطـو بالناس كالجـــزّارِ
أحقـــرَ الكائناتِ، حتى الحمارِ
وهـــو شـــرّ الأعداء للإنسـانِ
وتَـــولاّهُ بالشّقَـــا والهـــوَانِ(32(

لهذا يعيبُ محمد العيد على إنسان الغرب – عمُوماً – شراهته وسطوته التي فاقت سطوة الوحوش مما حجَب عن الإنسانية بهاءَها وعكَّرَ صفاءها بسبب قهر المستضعفين والتمكين للمفسدين:

قدْ يُشبعُ ابنَ الوحش شِلْوُ فريسةٍ إلا ابن آدمَ مَـا لـــهُ من مَشبَـعِ(33(

ومن العجب أن ذاك المستعمر هو الذي زعم الرفق بالحيوان ! لذلك يُسائِله الشاعر:

كيف ادّعيْتَ الرفـــق بالحيـوانِ
تسطو على المستضعفين بقسْوةٍ
وتُبِيدُ أحـــرار البـلادِ وتعتـدِيوظِبَاكَ تعْثـو في بني الإنســـانِ
وتُذِيـــقُهم بؤسًا وكُـلَّ هـــوانِ
جهْـرًا على حريّـــة الأوطـــانِ(34(

ومن أروع المراثي الثورية قصة شعرية خيالية، لكنها تنقل واقع التميز العنصري، بطلاها طالب جزائريّ اسمُه "رشيد" وآخر فرنسي اسمهُ "فرانسوا" درسَا جنباً إلى جنبٍ، وأحرزا على نفس الشهادة، ولمّا دخلا ميدان التوظيف والحياة العمليّة، فرّقت بينهما العنصريّة الاستعماريّة، فشق "فرانسوا" طريقه في الترقية الإدارية والاجتماعية، بينما أُوصِدت الأبواب في وجه "رشيد" لأنه جزائري من الأهالي، فمات غمًّا وكمَدًا من هذه الحياة الجائرة، التي لا تُراعي القدرات العلمية والكفاءات المهنية، بقدر ما تراعي الفوارق العنصرية، فجعل محمد العيد يُرثيه:

نعـمْ لكَ في العُـلا عمـلٌ مجيـدُ

عَـــلاَمَ (فرانسوا) يَعْلُوكَ كعْبـــاً ولكنْ مـــا جزاؤكَ يـــا (رشيـدُ(

وأنتَ لِمِثلـه الكُـفؤُ الوحيـــــدُ(35(

ثم يعتبره شهيد الحق والعدل راجيا من الله أن يعوّضه في آخرته عندما تُوضَع الموازينُ القسطُ ليوم القيامة، فيقول:

وموتك يا شهيد العـــدل ذكرى

وإن تكُ قد قضيتَ العيشَ بؤسًا مؤثِّرة يلِـــينُ لهَا الحدِيـــــدُ

فعِنْـدَ الله طالِعُـــكَ السّعيـــدُ(36(

وخلاصة القول أن المستعمر ممثلا لإنسان الغرب – بوجه عام – سرعان ما يدوس على مبادئه وقِيَمِهِ بنفسه عندما لا تتماشى مع شهواته ومصالحه مما جعله يوقد نيران الحروب التي أكلت الحياة البشرية وأذاقتها ويلات البشاعة والوحشية ألواناً:

شاء هذا الإنسان أن يكُ وحشَا

كُلّمـا أطْفِئتْ حـــروبٌ أُثيرتْ يقتُلُ البعضُ منهُ بعْضـاً ويَخْشَى

غيرُهـا في البـلاد أكثرَ بطْـشَـا(37(

أمّا وثيقة بيان أول نوفمبر 1954 فقد اشتملت ضمن أهدافها: "احترام جميع الحرّيّات الأساسيّة دون تمييز عرقيّ أو دينيّ"(38.(

وأما رسالة الثورة التي قامت من أجلها بعد التحرير؛ فهي المساواة التي لا تمييز فيها بين أبيض وأسود، ولا تفريق فيها بين البشر، حيث يعيشون سواءً على الأرض مستمتعين بجمالها وخيراتها دون بغي أو عدوان، مثلما تقرّره الأعراف والمواثيق الدولية:

ونريد البيضَ والسودَ سواءً في الحياةْ..

نقطف الضوء جميعًا من سماهْ،

ونضُمُّ الأرض لثْماً بالشِّفاهْ،

وننادي الفجر: يا فجرَ الحياهْ..

ظلّلَ الأبيض والأسود كوناً ومداهْ.

إننا – يا فجرُ – لحمٌ وعرَقْ..

لم نكنْ يافجرُ – شيئًا غير هذا..

فلماذا نفترقْ؟!

ولماذا نحترقْ ؟!(39 (

ثالثاً: رسالة المحبّـــة والســـــلام:

اعتنت الرسالات الإلهية بهذه القيمة إلى الحد الذي اعتُبِر "السلام" اِسماً من أسماء الله الحسنى بنص القرآن الكريم: [هُوَ اَللهُ الَّذِي لَآإِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ المُتَكبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكونَ](40) واعتبر جنوح المحاربين إلى السِّلمِ دافعاً نحو التزام جيوش المسلمين بها، قال تعالى: [وَإِنْ جَنَحُوا لِلسّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكّلْ عَلَى اَللهِ إِنَّهُوهُوَ السَّمِيعُ العليم](41). فالسلام هو الأصل في

المعاملة البشريّة، وإن جاءت الحرب فهي الاستثناء، ومن المفارقات أن يكون الإنسان بين ويلات الحرب وفي أهوال الثورة، ثم يفكّر في كلمة حبٍّ أو سلام! بلْهَ أن يتفوّهَ بها أو يكتبها في أشعاره، هذا المزج بين النار والنور، وبين الحرب والحبّ وجدناه في شعرنا الثوريّ المخلّد لمآثر الشعب الجزائري وبطولاته:

النار رمز جهادِهْ،

والنورُ لوْنُ وجُودِهْ،

والحبُّ مِلءُ فؤادِهْ،

واللحنُ مِلءُ قصيدِهْ(42.(

ولم يكن الشعراء – وهم يتغنّون بأمجاد الثورة التحريرية – لينشدوا السلام والمحبة والأخوة لأنفسهم على المستوى المحلّي ، بل وسّعوا دائرة مشاعرهم نحو أمتهم العربيّة والإسلامية معبّرين عن روابط العلاقة العضوية بين الجزائر وشقيقاتها، فراح مفدي يصدح:

إنْ صــاحَ فِي الجزائـر صَائِحٌ

في المغرب العربيّ عِرْقٌ نابضٌ

عِزُّ العرُوبة في حِمَى استقلَالنَا لبّـــتْه مِصْرُ ، وأدركتــه شـامُ

يُذكيه في حرب الخلاصِ ضِرَامُ

أيَطيرُ(مقْصُوص الجَنَاحِ)حمَامُ؟(43(

واعتبر الجزائر وطنا لجميع العرب ودارا لهم:

يا نازلـــين كِــــرَامًا في ديـارهمُ

ويا عروبـــة من أم لنــــا وأبٍ أرض الجزائـر للأحرارِ أوطـانُ

هنا العروبـة دوحاتٌ وأغصانُ(44(

ثمّ تعدَّى الشعراء حدود وطنهم ومحيطهم العربي إلى الوجود والعالم كله، وتمنّوْا السلام للإنسانيّة جمعاءَ، فكان لسان المقال يلهج بهذا الدعاء نحو الخالق:

وانْشُر الحبّ والإخَا في الوجودِ

وتدَارَكْــنا بالسّـــــلام فإنَّـا واملأِ الأرض بالهنَا والسُّعُـودِ

أكلتنا الحروبُ منذُ عهُـــودِ(45(

فالحرْبُ – إذَنْ – مبغوضة ولكنّها مفروضة عسى أن تكون سبيلا إلى صناعة السلام عندما تعجز الوسائل الأخرى، لذلك وبالتوازي مع العمل المسلّح، لم يُغفِل الثوّارُ العمل على الجبهة السلميّة وتسخير كل الجهود لتحقيق غاية واحدة وهي إزالة الاحتلال، جاء في بيان أول نوفمبر: "جمع وتنظيم جميع الطاقات السلميّة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري"(46)، مما أجبر الشاعرُ أبو القاسم سعد الله على القول: صَوَاريــخٌ تنفضّ نَـارا وثـُورا فتُردي حيــاةً وتبنـــي حيـاةْ(47(

فهي (تلك الصواريخ) ليست وسائل لتدمير رموز الحياة كما فعل بها المستعمر؛ بل إنها تُزيل حياة بائسةً لا تليق بكرامة الشعب الجزائري الذي يستحق كل تكريم على أرض بلده، ومن ثمّ فهو يعيد بناء أسُس حياته المستقبليّة بعيدا عن وصاية المحتلّ، فقال الشاعر مستعينا بجمال الطبيعة ومستعيرا منها أبدع ما فيها:

جداويــلُ نُــور وأنهار حبٍّ تزفُّ الصبَـــــاح إلى المُقبِــلِ(48(

وعلى الرغم مما لاقاه الجزائريون من ظلم المستوطنين الذين كانوا مستقوين بالآلة العسكرية الاستعمارية التي كانت توفّر لهم الحماية عادِين كانوا ومُعتدين، إلاّ أنّ الثورة حصّنت نفسها من كل صنوف الغلّ وضروب الحقد، وترفّعت عن دوافع الانتقام وبواعث ثأر الضحية من جلاّدها، حيث قرّر بيان أول نوفمبر أنّ:"جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر، لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية، ويعتبرون بذلك كأجانب تُجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسيّة الجزائريّة، وفي هذه الحالة يُعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات... تحدّد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين القوّتين الاثنتيْن على أساس المساواة والاحترام المُتبادل "(49.(

رابعًا: رعاية وترقية حقوق المرأة وحماية شؤون الطفولة:

جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: للأمومة والطفولة حق في مساعدة ورعاية خاصة(50)، ومن ثمّ فلجميع الأطفال حق التمتّع بذات الحماية الاجتماعيّة.

أما في شعر الثورة التي ألزمت الرجل والمرأة على السواء بتحمّل المسؤوليّة وتقاسم الأعباء والتكاليف، فإن الأمر لم يكن على مستوى الشعارات النظريّة فحسْب، بل كان ميدان الثورة شاهداً على وحدة النداء الموجّه للجنسين معاً :

ساعِدي في الجهاد جُندَ الجهادِ

يا فتَــاة البـــلادِ شعبُك نادَىوأعِدِّي الفِـدا لنصر البـــلادِ

فاستجيبي بعزمةٍ للمُنَــادِي(51(

وقد اعتبر أحدهم المرأة ((إنسانة)) الثورة التي تجسّد قيم التضحية والصبر والبطولة ليرى منها الطغاة ما يسوءُهم فتوجّه إليها قائلاً:

حطّمي الأغلال وامضي للسلاحْ

حطّميها .. واهتفي مِلْءَ الأثيرْ،

يا طغاةُ اشهدوا اليوم الأخيرْ(52.(

لذلك حق لها أن تردّ قائلة:

يَـــوم نادى المنادي ودعَــــا للكفــــــاحْ

قمتُ أحمـــي بلادي وتـــركتُ المِـــــــزاحْ(53 . (

بل قد يبالغ الشاعر محمد العيد حين يعطي للمرأة فضل السبق حين يتطلب الظرف شيئا من الخشونة والبأس والصبر:

قد سبقْن الرجالَ في البأس صبرًا

فإذا جنسُنـــا اللطيفُ عنيـــفٌ

وتحمّـــلْنَ فتنـــة الاضطهـادِ

وشريف في ساحة الأمجــــادِ(54.(

وهي مع هذا الواجب الثوري لم تُغفِلْ حقها في التعلّم وحرية الفكر والاعتزاز بموروثها الحضاري و الافتخار بأصالتها وتقاليدها الشرقية العريقة الرافضة للذوبان والانصهار في حضارة المستعمر:

أنـــا ثوريّـــة ســـلامًـا وحـــرْباً

وعفافي دِرْعِي وصبري دفَاعِـي فكـــرتي عُــــدّتي وعِلمِـــيَ زادِي

وصلاحِي حِصْنِي ودِيني عِمَادِي(55(

وقد كان لبعض الشعراء نظرة متقدمة في النوح باللائمة على وضع المرأة والحسرة على ما تعانيه من البؤس والحرمان والضغوط العائلية زيادة على ما فرضه عليها الواقع الاستعماري، حيث يقول محمد الصالح خبشاش(56:(

تركُوك بين عبــاءة وشقـــــاءِ

مغلُولــة الأيْــدي بِأَسْوَإِ بقعـةٍ

دَفنُوك من قبلِ المَمَات وحبّـذا مكؤوبــة في الليلـة الليـلاءِ

محفُــوفة بكتـــائب الأرزاءِ

لـو متِّ قبْـل تفاقُم الأدواءِ(57).

ثم يتوجّه باللوم إلى العلماء والمصلحين متسائلا إن كان هناك مانع ديني يحول بين تعليم المرأة وترقية شأنها وتمكينها من أداء رسالتها في الحياة ؟

فهل الشريعة حرّمت تعليمــها

إن كـان ذاك فبيِّنُـوا بحقــائقَ يا نخبة الأشياخ والصلحاء؟!

قطعيّـــةً ليُمَـــاطَ كلُّ رداءِ(58).

أمّا الطفولة فقد كانت – في دنيا المستعمر – الضحيّة التي ليس بمقدورها أن تدفع عن نفسها شروره، ولهذا فمن واجب كل المنظمات والهيئات التي تعنى بشؤون الطفولة أن تحاسب الاستعمار وتقاضيه على مآسيها، فقد نقل بعض رموز الحركة الوطنيّة جانبا من طفولتهم، مثل فرحات عباس الذي يُورِد عن جدته، التي كانت تحكي لحفيدها ما صنعه "الرومي" بالأرض وبالعباد، مما يزرع في نفسه مشاعر الامتعاض من هذا الغازي البغيض، قال عنها عباس: **"**هناك في دوّار بعيد وفي كوخ من الخشب والديس تغفو جدّتي بالقرب من كانون مشتعل، في يدها مسبحة، ومائة سنة من الذكريات، والعمل الشاق، والبؤس، بما يثقل كاهلها المتعب**"**(59).

فلقد كانت حكايات جدته بمثابة مدرسة مكتبة شفهية، عرف من خلالها عباس كل شيء عن الغزو ومظالمه من الإبادة ومصادرة الأرض والخضوع والبكاء والبؤس، وكل القبائح التي رافقت الرومي الغازي(60)، هذه الثقافة الشفهية تتناقض مع واقعه المعيش حيث عاصر والده العربي المسلم وهو يؤدي وظيفة (قايد) تحت وصاية ذلك الرومي الغازي البغيض!! وهذا كفيل بأن يؤثر بشكل سلبيّ على نفسيّته مما يفقدها توازنها العاطفي.

كما ينقل مصالي الحاج ذكريات طفولته مع المستوطنين بتلمسان من عائلة "برات" التي كانت من أقرب جيرانه، ويتكلم عن تأدُّب أفرادها، وظرافتهم، ومحبتهم وحسن مجاورتهم، وما يقوله أبوه من أنهم بشر مثلنا، فلهم دينهم ولنا ديننا، غير أن مصالي يردِف قائلا: **"**ومن البديهي أن كل واحد كان ينسى في قرارة نفسه الكيان الاستعماري، ونتائجه على كل المستويات: البشري منها، والسياسي، والاقتصادي. وهذا مشكل حسب تفكيرنا، سيجد حلاًّ في يوم من الأيام، متى وكيف؟ الله وحده يعلم**"**(61).

وعلى هذا النحو أورد الشعر – على سبيل المثال – ما فعله جيش المستعمرين في ((تبسة)) بتاريخ: 04 مارس 1956م من حرق للمباني والممتلكات وتقتيل وتشريد للأهالي وما لحق بالأمومة والطفولة من الأذى على وجه خاص، يقول صالح خباشة في معرض وصفه للمأساة:

لا ترَى غيــر صُراخ الطفْــلِ

فَهيَ تسْعَى بين طفـل شــاردٍ خلفِ أمٍّ هرْولتْ مِنْ دون حجابِ

وقعيدٍ دون غوثٍ أو جـــوابِ(62)

ويقول صالح خرفي مخاطبا المدينة المفجوعة:

أنّات طفــل مِنْ بَنِـــيك مُيَتَّمٌ

عبَراتُ شيخ تأكلُ النيرانُ أمْوَا

زفرات قومٍ أُبْعِدوا عن أرضِهِم لا أمّ تمســــح دمعَـــهُ المِدرَارَا

لاَ قضــــى في جمعها أعمــارَا

ظُلمًا فهاموا في القفارِ حَيَارَى(63(

وما أشدّها ألَماً تلك الفظائع التي جمعتها قصة شعريّة للربيع بو شامة بعنوان "فجيعة الطفولة" يفتخر فيها ابتداءً بالأصول العريقة لأبناء الجزائر وعواطف الأبوّة وإشرافها وحرْصها على رعاية أحلام الطفولة، فيقول:

صِبْيَةٌ كالزهُـور في الروضاتِ

أنبتتْهُم أعْــراقُ شعبٍ كريـــمٍ

***

أقبلُــوا مع أبيـــهم المُهْتَاجِ

كلُّ شيءٍ يُوحِي إليهم حُبُورا   أو كملائكِ الخير في الجنّاتِ

وغذّتْهُــم بالنُّــورِ والطّيّبــاتِ

***

يتــلاهَـوْنَ حَولَـهُ في ابتهاجِ

ويُغـذّي أحلامَهُمْ ويُنـاجِي(64(

وفي غمرة الأحداث، وبينما الوالد منهمك في قضاء مصالح عائلته وأبنائه، وقد أنهكهُ التعب وأعياهُ الجهد، ممّا فرض عليه التوجُّه نحو العودة إلى بيته عسَاهُ يستريح ليجدّد نشاطه المعهود، وفجأةً إذا بالآلة العسكريّة تمارس جرائمها فترمِيه رميةَ غدر ومكر فتُرديه قتيلا في رمشة عين، لتتحوّل فسحة الأمل إلى مأساةٍ واقعيّة، فالمستعمر لا يُرضيه أن يرى البسمة على ثغور أبناء رعاياه من الأهالي، وهكذا تُغْتَالُ أحلامُ الطفولة بدمٍ باردٍ وفي رابعة النهار:

يقول الشاعر:

واشترى ما اشتـرى وطاف قليـلا

بينــما هــو سائــرٌ إذْ رمـــاهُ

***

فبَكـاهُ الأطفـالُ من غير صبْـرِ

ودعــا كل واحـــدٍ بِالْتِيَــاعِ(65)   وانْثــنى مع بنِيـهِ يبْغــــي مقيـلاَ

مــــدفعٌ رشّـــاشٌ فخــرَّ قتِيـلاَ

***

وأكبُّـــوا عليْه الدمـــعَ يجْـري

يا أبي من رمَــاك رمْيَــةَ غـدْرِ؟(66(

وهكذا لن ينفع ترَجِّيهِم إيّاهُ أن يبقى بينهم فلا ينقطع حبل السعادة والودّ وسط العائلة ولكن! أنى للمستعمر أن يُعِير أدنى اهتمام لمعاناة أولئك الصِّبْيةِ أو لأمانيهم؟ فليس لهم إلا التسليم بموت والدهِم وحتميّة توديعه شهيدا ، حيثُ نهاية سعادتهم واستفحال ظلمة الشقاء عليهم:

يا أبِي هَــلاّ أطلْتَ البقـــاءَ

وسعِدْنا بالعيشِ جنبًا لجنْبِ

مَـات أبِي الكريــمُ الهُمــامُ

وانتهى كلُّ ما لنـا من سُرور   ورجعْـنا معًا لأمي مســاءَ

مثلمَــا كُنّا سابقًــا سُعَداءَ

وَخَبــا نـورهُ وسَـادَ الظلامُ

فَـوداعًا أبي عليـكَ السلامُ(67(

ولكن نداءات التحريض ضد المستعمر والثورة عليه لم تزل تدغدغ آذان الشباب وتقرع مسامعهم، وهناك أمل يلوح في الأفُق رغم طول العناء، يدعو أولئك الفِتْيَة وأمثالهم إلى رفض الاستسلام للواقع المؤلم، وأن عليهم النهوضَ بأعباء التضحية ضد الطغاة وتحمُّلَ تكاليف صناعة النصر في مسيرةِ الفداء التي بدأها أجدادهم وآباؤهم وكتب قدر الله أن يواصلوها إلى نهايتها بأنفسهم، فجاء في معرض هذا قول الشاعر:

يـا فتيـة الوطـن الكـرام وجُنـدهُ

جدُّوا فإن الشعب يخـلعُ قيـــدهُ

هيّا اعملوا كي تخلُفوا أجـدادكـم هُبُّـــوا إلى العلْيــاء لا تتأخّـــرُوا

رغـم الطغـاة، وبالحقــوق سيظفرُ

في الكون، إنّ جدودكم ما قصّرُوا(68 (

الخاتمـــــــة:

لم تكن الثورة التحريرية الجزائرية رد فعل عشوائي على الاستعمار، لا تحسن إلا مُقارعته بلغة الحديد والنار التي يفهمها الاحتلال عبر الأزمان وفي كل الأراضي التي غزاها فنشر فيها آلة التدمير وزرع فيها أشواك الشقاء والبؤس، حيث تعشِّشُ مواخير اليأس والإحباط ويشيع التفسخ والتمزّق، بل كانت تلك الثورة تجيد استعمال القوة في مواضعها وتحسن التمرّد في مواعيده؛ ولكن في ذات الوقت قامت على المبادئ والقيم التي تزكيها الإنسانية وتمجّدها وترفع لها لواءات التقديس ورايات الإشادة. ومن ثمّ لم تكن حربُها عسكريّةً على جبهات القتال فحسب؛ بل كانت حربا على صعيد القيم والأخلاق التي تعترف بها الرسالات الإلهية والمواثيق الدولية.

وهذا ما حفل شعر الثورة التحريريّة بتدوينه ونقله في قوالب النظم والقوافي، ليُسجّل لهذه الثورة مورداً عامرا بأُسس احترام حقوق الإنسان من الحرّيّة والكرامة للفرد، والمساواة والعدالة ومحاربة العنصرية في مجتمعٍ ينبغي أن تحظى فيه المرأة والطفولة بما تستحقَّانة من الرعاية والعناية إسهامًا في نشر رسالة السلام والمحبّة بين البشرية جمعاء.

فكان الشعر المَعينَ الذي اختزن مستوى فكر المجتمع وتطلّعاته نحو تحقيق تلك المبادئ وترسيخها، وكانت الحريّة هي المدخل الأوّلي الذي منه يلج الفرد والمجتمع إلى عالم فكر السيادة الوطنية، لهذا جاءت الحرّية في شعر الثورة مرادفة لمعنى الاستقلال الحقيقي، عندما يرفع الاحتلال يده عن البلد نهائيا ويتركه لأهله يقيمون دولتهم الحرّة ذات السيادة ضمن الأطر التي نص عليها بيان أول نوفمبر 1954م.

وهكذا جاء الشعر – إِذَنْ – محاربا للاستعباد والاستغلال، رافعا لواء استبدال كل التشكيل الاستعماري ومنظومته المادية والأدبيّة بدولة الاستقلال، وعلى درب أشواق الحرّيّة، كان شعر الثورة صارما في رفضه لكل صُوَر التمييز ومعاداته لأدنى أبجديات الطبقية وملامحها البسيطة منها والمعقّدة، والتي كرّسها المستعمر بترسانة من القوانين الجائرة – نظريًّا – وسعى إلى فرضها بسطوته الأمنية وجبروته العسكريّ – عمليًّا – ومن ثم جاءت تطلّعات الشعراء نحو دولة العدل والمساواة الضامنة للحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وحتى على صعيد التعدّديّة الدينيّة (69 .(

ورغم ويلات الحرب وما تفرضه من سلوكيات البطش والشدّة، إلا أن الشعر حفظ تمسُّك الجزائريين برسالة المحبة والسلام ليس لأنفسهم فحسْب؛ بل سعوا إلى تعميم ذلك على كافة الشعوب وفي مختلف أقطار الأرض، بدءًا بمحيطهم العربي والإسلامي ثم الإقليميّ والجهوي، انتهاءً إلى أن يعمّ السلم والأمن والوئام العالم كلّه.

وفي ركاب محاربة التهميش والتضليل الاستعماري من جهة، والتطلع إلى دولة الحرية والعدل والسلام من جهة أخرى، حظيت المرأة والطفولة بعناية متميّزة، اعترافا بما نالهما من صنوف العدوان والقهر والإذلال وما تحمّلتاه من ألوان التضحية وما أدَّيتاه من واجب الدفاع عن حمى الوطن والدين وترسيخ القيم والمبادئ الإنسانيّة.

الهوامش:

- (1)باعتبار اللغة نظاما إشاريّا يحقق الوظائف المعرفية والتواصلية في عملية النشاط الإنساني، وبالتالي فهي شكل لوجود الفكر وشكل للتعبير عنه.. انظر: لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، الموسوعة الفلسفية، إشراف: م.روزنتال وي.يودين، ترجمة: سمير كرم، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، أكتوبر 1974، ص 410.

-(2)فثورة أول نوفمبر 1954م لم تنطلق من ذاتها كواقعة منفصلة عن تاريخ الحركة الوطنيّة منذ سنة 1830م، ولم تتنكّر جبهة التحرير الوطني للإرث التاريخي المتواصل عبر الأجيال، انظر: بلفردي جمال، ثورة أم حرب تحرير؟ جدلية تحديد المفهوم عند مؤرّخي الثورة" حربي – مينبي– إلسنهانس "، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعيّة، عدد(1) يونيو 2010، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، ص 233. ولهذا فقد لاحت تباشير التحرّر وبدأت إرهاصات الثورة على المستوى الفكري والتنظيري قبل انطلاقها في نوفمبر 1954، تذكيرا بأمجاد الماضي، وإشادة بالبطولات التاريخية للجزائريين على صعيد مقاومة الاحتلال ومن ذلك – على سبيل المثال – ما نشرته صحيفة البصائر بقلم عبد الوهاب بن منصور تحت عنوان "الثورة القومية الجزائرية قُبيْل ولادة الأمير عبد القادر بن محيي الدين"، انظر: البصائر، عدد: 268، الجمعة 20 شعبان 1373هـ/23 أفريل 1954م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 337.

-(3)فقد شغلت الثورة التحريرية بدورها أقلاما عربية كثيرة في مختلف فنون الأدب، فكانت مصدر وحي للشعراء والقصّاصين والمسرحيين والمؤلفين ..، انظر: نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص298–300.

-(4)يحياوي الطاهر، البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1983، ص 41 .

- (5)عبد المالك مرتاض، النص الأدبي.. من أين وإلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعيّة – الجزائر، 1982، ص 13.

- (6)انظر : الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسيّة، الجزائر، 1998، ص ص 7–11.

-(7)عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 1406هـ/1986م، ص 19.

-(8)صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2005، ص429 .

-(9)عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية (1931–1945)، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1981، ص 353 .

– (10)مفدي زكرياء، اللهب المقدّس، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973، ص 104 وأيضاً: محمد ناصر، مفدي زكرياء، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الرغاية، الجزائر، 1989، ص 47.

-(11)مصطفى بن الحاج بكير حمّودة، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، مؤسسة مفدي زكريّاء، الجزائر، 2003، ص 132.

-(12)محمد بن قاسم ناصر بوحجّام، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث، نشر جمعيّة التراث، القرارة، الجزائر، 2011، ص 230.

-(13)جمال قنّان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص 235 .

-(14)مصالي بن أحمد الحاج (1898–1974م) زعيم التيار الاستقلالي منذ تأسيسه لنجم شمال أفريقيا عام 1926 بفرنسا ثم حزب الشعب الجزائري سنة 1936،حيث نقل نشاطه إلى الجزائر في العام الموالي 1937، ليتحول إلى حركة الانتصار للحريات الديمقراطيّة سنة 1946، بعد الحرب العالمية الثانية، إلى أن= انشطرت الحركة عام 1953إلى تيار المصاليين وتيار المركزيين، هؤلاء الأخيرين الذين كانوا متحمسين لإعلان الثورة التي اندلعت تحت راية جبهة التحرير الوطني في:1 نوفمبر 1954م، انظر عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنيّة، ط1، دار طليطلة، الجزائر، 2009، ص ص120، 121 .

(15) - André NOUSCHI, La Naissance Du Nationalisme Algérien, Les éditions de Minuit, 1962., P. 61.

- (16)محمد العيد آل خليفة، ديوان محمد العيد آل خليفة، ط3، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1992، ص ص 422–424.

-(17)أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ديوان شعر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1995، ص 228.

-(18)الهادي درواز، الأناشيد الوطنيّة، المركز الوطني للدراسات في الدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998، ص 84 .

-(19)أبو القاسم حمار، من أناشيدنا الوطنيّة، (د ت ط) ص 78

-(20)محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1936 –1919))، ج2 ، ترجمة: أمحمد بن البار، ط 1، دار الأمة – الجزائر، 2008 ، ص 969 .

-(21)نور سلمان، الأدب الجزائري ..، مرجع سابق، ص 235 .

-(22)الصورة الشعرية مصطلح نقدي أدبي أولاها النقاد أهمية كبيرة باعتبار خصوصيّة وظيفتها في الخطاب الشعري منذ القدم، فهذا أرسطو يرى أن على الشاعر أن يتحكّم في صناعة الشعر، وأن يصوّر الأشياء كما يجب أن تكون، انظر مزيدا من التفصيل في: إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1979، ص 87 .

-(23)نوّارة ولد أحمد، شعريّة القصيدة الثورية في اللهب المقدّس، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص121 .

-(24)عبد الله الركيبي، قضايا عربيّة من الشعر الجزائري المعاصر، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص28 .

-(25)يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية، من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري ((1954– 1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص 120.

-(26)جمال قنان، ديوان بوشامة..، مرجع سابق، ص ص 201–202 .

-(27)مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج، تصدير عبد العزيز بو تفليقة، ترجمة: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيّة، الجزائر،2007، ص 12.

-(28)الأمير خالد بن الهاشمي بن الحاج عبد القادر الجزائري (1875–1936م) تخرج من المدرسة العسكرية الفرنسية، التي صُرِفَ منها عام 1913م ، ليقود المعركة السياسية بالجزائر بين 1920 و 1923حين أبعدته سلطات الاحتلال إلى فرنسا بعد انزعاجها من حركته، انظر: عبد الوهاب بن خليف، المرجع السابق، ص ص 110، 111 .

-(29)فرحات بن سعيد بن أحمد عباس (1899–1985م) صيدلي متخرج من جامعة الجزائر، تزعم النضال السياسي في إطار الاتجاه الإدماجي الليبرالي، ترأس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري منذ 1944م ، وكان أول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة سنة 1958م، انظر:

Benjamin STORA et Zakia DAOUD, FERHAT ABBAS une autre Algérie , CASBAH EDITIONS, 1995, Alger, P.21.

-(30)فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها (1) ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، دار الجزائر للكتب،.2011 ص 106.

-(31)الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ص 7–8 .

-(32)جمال قنان، ديوان بوشامة .. ، مرجع سابق، ص197 .

-(33)محمد العيد آل خليفة، ديوان الشاعر ، مرجع سابق، ص193 .

-(34)جمال قنان ديوان بوشامة..، المرجع السابق، ص 243 .

-(35)محمد العيد آل خليفة ، ديوان الشاعر ، مرجع سابق، ص 449.

-(36)المرجع نفسه، ذات الصفحة .

-(37)جمال قنان، ديوان بوشامة ..، مرجع سابق، ص 204.

-(38)صالح فركوس، مرجع سابق، ص 430.

-(39)أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، مرجع سابق، ص226 .

-(40)سورة الحشر، الآية: 23 .

-(41)سورة الأنفال، الآية: 61

-(42)أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، نفس الصفحة 226.

-(43)عبد الله الركيبي، مرجع سابق، ص 32.

- (44)محمد بن قاسم ناصر بوحجّام، مرجع سابق، ص208.

-(45)جمال قنان، ديوان بوشامة،..، مرجع سابق، ص 204 .

-(46)صالح فركوس، المرجع السابق، ص 431.

-(47)أبو القاسم سعد الله، ديوان النصر للجزائر، مرجع سابق، ص 35 .

-(48)أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسُه، ص 34 .

-(49)صالح فركوس، المرجع السابق، ص 432 .

– (50)سعيد أحمد باجانة، دراسة مقارنة حول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وموقف التشريع الإسلامي منها، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان للنشر والتوزيع 1985... ص18 .

- (51)محمد العيد آل خليفة ، ديوان الشاعر ، مرجع سابق، ص430 .

-(52)هو الشاعر محمد الصالح باويّة، انظر: نور سلمان، الأدب الجزائري ..، مرجع سابق، ص268 .

-(53)كتاب الأناشيد الوطنيّة، مرجع سابق، ص 88 .

-(54)محمد العيد آل خليفة ، المرجع السابق، نفس الصفحة.

- (55)المرجع نفسه، وذات الصفحة .

-(56)الشاعر من نواحي قسنطينة ولد عام 1904، قرأ على الشيخ ابن باديس ولازمه ثماني سنوات، حيث حصل على ثقافة أدبية ولغوية واسعة وبدأ نظم الشعر عبر المسابقات التي كان يعقدها الشيخ، له إنتاج معتبر ولكن لم يصدر له ديوان مطبوع، انظر : عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث،ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص 172.

-(57)المرجع نفسه، ص 126.

-(58)نفســـــهُ، ص 127 .

-(59)انظر..Benjamin STORA et Zakia DAOUD, Op- Cit, P.21 :

-(60)حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة – الجزائر، 2007، ص21.

-(61)مصالي الحاج، المذكرات، مرجع سابق، ص 21.

-(62)نور سلمان، الأدب الجزائري ..، مرجع سابق، ص 259 .

-(63)المرجع السابق، ونفس الصفحة .

-(64)جمال قنان، ديوان بوشامة..، مرجع سابق، ص 201.

-(65)بِالْتِيَاع: من اللوعة، أي: حُرقة القلب وحَسْرتُه.

-(66)المرجع السابق، ص 202.

-(67)المرجع نفسُه، ونفس الصفحة .

-(68)عبد الكريم العقّون، البصائر، عدد 155، الاثنين 8 شعبان 14/1370 ماي 1951م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 153 .

(69)– فقد كان فكر الحركة الوطنية والثورة التحريرية يتناول المرجعية الإسلامية ويعتمدها باعتبار الإسلام دين غالبية الجزائريين، لكن مع الاعتراف بالديانتين المسيحية واليهودية على أقلية أتباعهما، ويفرّق الجزائريون بين عدل الأديان والجوْر الذي قد يصدر من الأتباع، انظر مثلاً: الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج3 (1929–1940) ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان 1997، ص ص 78، 79.